مجلة المرابط

العدد : ١٨٦ الموافق في شـــعبان ١٤١٧ هجري ١ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : الجدية في العمل الإسلامي	بقلم : متولي موسى

لقد حرك موضوع « استمسكوا بالإسلام ولا تستخدموه » المنشور في العدد ١٨٤ في نفسي مشاعر الكتابة ، وأمسكت قلمي وكتبت هذه الأفكار والله ولي التوفيق.

حقيقةً لقد كثر استخدام الإسلام في العقود الأخيرة ، كما حلّ ببلاد المسلمين والحركات الإسلامية كثير من الرزايا والهموم ، حتى صار كثير من المسلمين يردد قول الشاعر:

ولو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكـنـه سهـمٌ وثـانٍ وخامس

ويردد آخرون قول أبي الطيب :

رمـــاني الـــدهر بـــالأرزاء حتـــى فـــؤادي فـــي غـــشاء مـــن نبـــالِ
فـــصرت إذا أصـــابتني ســـهام تكـــسرت النـــصال علـــى النـــصالِ
وهـان فمـا أبـالي بـالرزايـا لأني مـا انتفعـت بـأن أبـالي

وإنني أعتقد أن المصيبة لا تكمن في كثرة الأرزاء والهموم ، أو تكالب قوى البغي والعدوان ، بقدر ما تكمن في فقدان الوعي والقدرة على معرفة الأسباب وسنن التغيير ، وعدم توفر إرادة التغيير ، والقدرة على مواجهة التحديات... فالذي يراجع التاريخ يتثبت من أن الأمة الإسلامية قد واجهت هموماً ورزايا أشد وأنكى مما تواجهه في هذه الأيام ، ولكنها تجاوزت كل ذلك محتفظة بهويتها الإسلامية ، وخرجت متحققة بقول الله عز وجل : { **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ۞ إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلمَ اللهُ الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداءَ والله لا يحب الظالمين** } [آل عمران:١٣٩-١٤٠].

كما أعتقد في الوقت ذاته أن الحل يبدأ في أنفسنا ، معشر العاملين للإسلام ، من خلال الجدية في العمل الإسلامي ، مستفيدين بقول الشاعر :

تبنى الحياة بأهل الدين ما صلحوا وإن تولـــوا فبالأشـــرار تنقـــاد

والبيت لا يبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

ولا تتحقق هذه الجدية إلا إذا قامت عملية تكوين الأفراد والمؤسسات في العمل الإسلامي على ما يلي :

١- اعتماد منهج التربية والتكوين على العلم والعمل :

قال الله تعالى : { **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم** } [محمد:١٩] ؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ، على أن يكون تلقي كل علم من أهله ، فطالب العلم يحتاج إلى من يعلمه ويؤدبه في نفس الوقت ، أي يقوم المعلم بتربية العقل والقلب في آن واحد.

وعلى طالب العلم أن يستفيد من الزمن بصرفه في الأكثر فائدة ، فالعمر قصير ولا بد من اغتنام كل دقيقة ، بالتركيز على تصحيح العقيدة ، وتصحيح العمل ، يقول الله عز وجل { **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** } [التوبة:١٢٢].

وأن يحرص على التدرج في سلّم التعلم ، أي يحرص على التأسيس العلمي الصحيح المتقن ، فيبدأ بالأولويات في كل علم ، ثم يتوسع وفق قاعدة الأولويات والتدرج ، فطالب العلم الذي يستغني عن سلم التعلم وعن التدرج لا يصل إلى التفقه ، ولن يفقه فقهاً صحيحاً ، ويخشى عليه الشطط في الفهم[1].

وأخيراً : بدهي أن كل من يعتقد مبدأ ويلتزمه في تكوين الأفراد والمؤسسات ، فلا بد له أن يعمل للوصول إلى أهدافه بالبذل والنصيحة ، فليست المسألة أماني وحسب ، ولا أحلام يقظة تتحقق دون عناء ، فالعاقل من تدبر قول الخالق سبحانه : { **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ۞ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً** } [النساء:١٢٣-١٢٤]. ولقد عبر الشاعر العربي عن هذه الحقيقة فقال :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

ومن حكم العرب في هذا المجال قول الشاعر الآخر :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب

٢- الاعتقاد بأن الإسلام أساس الترقي والعلو

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه خالق الإنسان لتزكية النفس والارتقاء بها ، فإذا استمسك به الإنسان انتقل من حال إلى حال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » [رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان]. كما أرشد الخالق سبحانه إلى أن الاستجابة لله تعالى والإيمان به ، هي التي تجعل المسلم راشداً ، فقال عز وجل : { **فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** } [البقرة:١٨٦]. ودلنا على أن الدعاء والأخذ بالأسباب من سبل الرشاد ، فقال تباركت أسماؤه : { **وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً** } [الكهف:٢٤] ، { **ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً** } [الكهف:١٠].

كما أرشد الوحي إلى أن العاملين بالقرآن يرتفع شأنهم في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : { **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** } [الزخرف:٤٤] ، وقال رسول الله ﷺ : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين » [رواه مسلم] ، وقال ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق - أي في درج الجنة - ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » [رواه أبو داود ، والترمذي وقال حسن صحيح].

ولقد كان الإسلام هو القوة الدافعة التي وحدت العرب وجعلتهم أمة ذات شأن من ناحية ، كما كان هو القوة الدافعة إلى تعريب عدد من البلدان التي فتحها الإسلام من جهة أخرى ، فالتمسك بالوحي هو الذي رفع من شأن العرب ، ومكنهم من ربح معاركهم ، كل معاركهم ، مع أنفسهم ومع مجتمعاتهم ، ومع الطاغوت في عالمهم وعصرهم ، وتم ذلك على مراحل شيئاً فشيئاً ، وصدق الشاعر الذي أشار إلى هذه السنة معبراً عنها بقوله :

إن الهـلال إذا رأيت نمـــوَّه أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

فلنُقبلْ أيها المسلمون على القرآن من جديد... فالإقبال على القرآن هو الذي يزيد المحسن إحساناً ، وهو الذي يكف صاحب الشر عن شره ، فيجد المسلمون هويتهم بأنفسهم ، ويجدون حياتهم الإيمانية ، فيلتقون كرة أخرى على منهج الله رب العالمين... فهذا هو المخرج مما نحن فيه من تشتت وضياع واختلاف وفرقة...

الهوامش :

(١) انظر كتاب « برنامج عملي للمتفقهين » ، د. عبد العزيز القاري.

(للكلام صلة)